٨٧) عن أبي هُرَيرة ﷺ، قال:

١ قال رسول الله ﷺ: «تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ!»(١٨٩).

(١٨٩) رواه البخاريُّ (٥٠٩٠)، ومسلم (١٤٦٦).

آيات

- ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].
- ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].
- ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣]

الراوي

هو: عبدُ الرحمن بنُ صَخرٍ الدَّوسيُّ، الأزْديُّ، اليَمانيُّ، مشهور بكُنيته، وهذا أشهر ما قيل في اسمه واسم أبيه، صاحبُ رسولِ الله ﷺ، أسلَمَ عامَ خَيبَرَ ٧هـ، ولازمَ النبيَّ ﷺ رغبةً في العلم، وكان يذهب معه أينما ذهب، وكان من أحفَظِ أصحابِ رسول الله ﷺ، وأكثرهم رواية للأحاديث؛ «يروي عنه - كما قال البخاريُّ - أكثر من ثمانمائةٍ، ما بين صحابيٍّ وتابعيٍّ، استعمَلَه عمرُ بنُ الخطَّاب واليًا على البَحرين، ثم بعد ذلك عاد وسكُن المدينة وانشغل برواية الحديث، وتعليم الناس أمور دينهم، وتُوفِّي في المدينة سنةَ (٥٨هـ)(١).

خلاصة

يَذكر النبي ﷺ أنَّ النَّاس يرغبون في نكاح امرأة لأحدِ أربعة أسباب؛ المال والحسَب والجَمال والدِّين، وعلى المؤمن أن يختار المرأة لدِينها؛ فهو خيرٌ له وفلاحٌ.

(١) تُراجع ترجمته في: «معرفة الصحابة» لأبي نُعيم (٤/ ١٨٤٦)، «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» لابن عبد البر (٤/ ١٧٧٠)، «أُسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ٣٥٧)، «الإصابة في تمييز الصحابة» لابن حجر العسقلانيِّ (٤/ ٢٦٧).

١ يَذكر النبيُّ ﷺ أسباب النَّاس غالبًا في اختيارِ الزوجات؛ فمنهم مَن يختارُ المرأةَ الغنيَّةَ التي تُغنِيه وتُغني أولادَه، ولا تُرهِقه بمطالَبِها ونفقاتها، ومنهم مَن يختار المرأةَ الحسِيبة النَّسِيبة ليَشرُف بمُصاهرةِ آبائها وأقاربِها، ومنهم مَن يختار المرأةَ الجميلةَ التي تَسُرُّه إذا نظَر إليها، ومنهم مَن يختار المرأةَ الدَّيِّنةَ التي تَحفَظه في أهله وماله. ثُمَّ أرشد ﷺ إلى ضرورة الفَوزِ بذاتِ الدِّين، فإنْ لم تَفعَل التَصَقت يَداك بالتُّراب، وذلك كِناية عن الفقر والخَيبة.

٢ وليس معنى ذلك أنَّ المسلمَ عليه أن يختارَ الدَّيِّنةَ الفقيرة أو الدَّمِيمة أو وَضِيعة النسَب، وإنَّما عليه أن يكون معيارُه الأول هو الدِّين؛ فإن وجَد امرأةً دَيِّنةً غنيَّةً نَسيبةً جميلة فهي الغايةُ التي لا وراءها غايةٌ، وإلَّا فالمرأةُ الفقيرة الدَّيِّنة خيرٌ مِن الغنيَّة غيرِ الدَّيِّنة، والدَّيِّنةُ غير النَّسيبةِ خيرٌ من النَّسِيبة غيرِ الدَّيِّنة، والدَّيِّنة غيرُ الجميلة أفضلُ من الجميلة غيرِ الدَّيِّنة.

٣ ولهذا نَدَب ﷺ المسلمين إلى زَواج المرأة الصالحة، فقال ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(١٩٠)، وَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ»(١٩١).

فالمرأة الصالحة تُطِيعه وتخاف اللهَ سبحانه فيه، وتَحفَظ عليه عِرضه، وتُحسِن تَنشئةَ أولاده، وتتَّقي اللهَ تعالى في أهله وماله، وتُعِينه على طاعة الرحمن جلَّ وعلا.

(١٩٠) رواه مسلم (١٤٦٧).

(١٩١) رواه النسائيُّ (٣١٣١).

١ على المسلم أن يتخيَّر المرأةَ الصالحة الدَّيِّنة؛ فهي التي تُطِيعه وتسُرُّه وتُرضي اللهَ تعالى عنه؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَرْبَعٌ مِنَ اَلسعَادَةِ: الْمَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالْمَسْكَنُ الوَاسِعُ، وَالجَارُ الصَّالِحُ، وَالْمَرْكَبُ الهَنِيءُ، وَأَرْبَع مِنَ الشَّقَاوَةِ: الْجَارُ السُّوءُ، والمرأة السُّوءُ، وَالْمَسْكَنُ الضيقُ، وَالْمَرْكَبُ السُّوءُ»(١٩٢).

٢ ينبغي على كل امرأةٍ أن تُحسِن التَّبَعُّل لزوجِها، وتتَّقي اللهَ تعالى فيه وفي أهله، قال ﷺ: «إِذَا صَلَّتْ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ شِئْتِ»(١٩٣).

٣ في هذا الحديثِ الحثُّ على مصاحَبة أهلِ الدِّين في كلِّ شيء؛ لأنَّ صاحبَهم يَستفيدُ من أخلاقِهم وبَرَكتهم وحُسنِ طَرائقهم، ويَأمَن المفسَدةَ من جِهتِهم(١٩٤).

٤ كما أرشد النبيُّ ﷺ إلى اختيار الزوجة الصالحة، فقدْ أرشد كذلك إلى تزويجِ الرجل الصالح وإنْ كان فقيرًا وضيعَ النَّسب؛ قال ﷺ: «إِذَا أَتَاكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ خُلُقَهُ وَدِينَهُ فَزَوِّجُوهُ، إِلَّا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»(١٩٥).

قال الشاعر:

أَخَا الْإِسْلَامِ ذَاتُ الدِّينِ أَضْحَتْ ... تُؤَمِّلُ فِيكَ زَوْجًا لِلسُّكُونِ

إِذَا خَيَّبْتَهَا فِي نَيْلِ زَوْجٍ ... أَمِينِ الْعَهْدِ لِلْحُبِّ الْمَصُونِ

سَيَطْلُبُ وُدَّهَا زَوْجٌ لَئِيمٌ ... يَخُونُ الْعَهْدَ ذَا سَبَبُ الْفُتُونِ

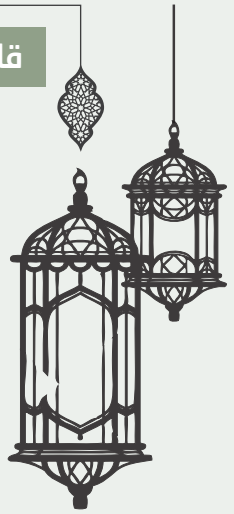

(١٩٢) رواه ابنُ حبَّانَ في «صحيحه» (١٢٣٢).

(١٩٣) رواه أحمد (١٦٦٤).

(١٩٤) «شرح النوويِّ على مسلم» (١٠/ ٥١، ٥٢).

(١٩٥) رواه الترمذي (١٠٨٤)، وابن ماجه (١٩٦٧).